## الحصة التطبيقية التاسعة:

## أبو نواس في ميزان النقد النفسي العربي

## العقاد والنويهي، أنموذجا

إنّ دراسة "**شخصية الأديب**" ملمح بارز من ملامح النّقد النّفسي العربي الحديث، والذّي توجّه بالدّراسة إلى أهمّ أعلام الخطاب الشّعري القديم وكذا الكثير من الأعمال الأدبية الحديثة على تنوّعها واختلافها: من: قصّة ورواية، ومسرح وأعمال سينيمائية وغيرها.... ولكن ما يهمّنا نحن في هذه المحاضرة، هو كيف تناول النّقد النّفساني النّتاج الشّعري العربي القديم؟

تُعدّ شخصية "**أبي نوّاس**" من أكثر الشّخصيات التّي تمّت دراستها من النّاحية النّفسية من قبل النقّاد النّفسانيين العرب، فهاهو "**عبّاس محمود العقّاد**" في العقد الثّالث من القرن العشرين، قد أصدر كتابا عن "**أبي نوّاس**" تحت عنوان (**أبو نوّاس –الحسن بن هانئ- دراسة في التّحليل النّفساني**)، مع عناوين مثيرة للاهتمام وردت في فهرس الكتاب، وهي: (**أبو نوّاس عند العامة – أبو نواس الإباحي – أسرار الغدد – شخصية منحرفة – الشّعر والشّيطان – عقدة الإدمان – طبيعته الفنية – غزل المؤنّث والمذكّر –الجاحدون واللّادينيون**).

يرى "**العقّاد**" أنّ "أبا نوّاس" قد عُرف عند العامة (أي الأميين وأشباه الأميين) على أنّه شخصية نموذجية، أي شخصية تقوم على الحيلة والجواب السّريع والقدرة أيضا على الخلاص السّريع من المآزق والمواقف المحرجة. لكنّ حقيقة "أبي نواس" أنّه كان "إباحيا" غاليا في الإباحية، والمقصود بالإباحية أنّه كان يستحل المحرّمات، ويخالف الدّين والعُرف والطّبيعة، وإباحيته كانت متهتّكة، بمعنى أنّه لا يكلّف نفسه إخفاء أمره بل يتلذّذ بإظهار مجونه، وكأنّه يقول: "أنا الغريق فما خوفي من البلل".

يرى "**العقّاد**" بأنّ "أبا نوّاس" يجاهر بمعصيته متعمّدا، واستخفافا برأي النّاس؛ لأنّه يريد أن يُلقي في أنفسهم أنّهم أهون لديه من أن يتستّر منهم، وأن ينزل عن لذّة من ملذّاته

لإرضائهم، وهذا كلّه يُفسّر بظاهرة نفسية هي "**النّرجسية**" والتّي اعتبرها مفتاحا لتفسير شخصية أبي نوّاس، والنّرجسية هي (**شذوذ دقيق يؤدّي إلى ضروب شتّى في غرائز الجنس وبواعث الأخلاق).**

لقد كان "**أبو نوّاس**" في نظر "**العقّاد**" نرجسيا يعشق ذاته ويُؤثرها إلى حدّ حال بينه وبين إقامة علاقة سويّة مع الغير، فالعالم بأسره بالنّسبة له لا قيمة له إلّا بقدر ما يحقّق له من مطالب ورغبات. وللنّرجسية عند "**أبي نوّاس**" تمظهرات عديدة تتمثّل فيما سمّاه: (**الاشتهاء الذّاتي، التّوثين الذّاتي، لازمة التّلبيس والتّشخيص، لازمة العرض، لازمة الارتداد).**

لذلك فإنّ الباعث على شرب الخمر عنده – من منظور العقّاد- لم يكن هو التلذّذ في تلبية حاجيات الذّات الفردية، وإروائها، وإنّما الباعث هو صدم الآخرين، وذلك من خلال المجاهرة وإثبات مخالفة الحسّ العام بطريقة عيانية حسية، وبالتّالي فنحن أمام حالة نرجسية فريدة من نوعها، فـ: "**أبو نوّاس**" حين يعشق فعلا سلوكيا، لا يكون ذلك بفعل التلذّذ الذّي يثيره لدى الفاعل، بل يعشق السّلوك لأنّه حرام؛ فالحرام تحديدا هو الفعل المطلوب، مادام سيُسعف في لفت الأنظار وتأكيد الذّات.

كما اعتبر "**العقّاد**" الشّذوذ الجنسي (إيثار الذُّكران على الإناث)، مظهرا من مظاهر النّرجسية، ذلك أنّ النّرجسي يعشق ذاته إلى الحدّ الذّي يعشق فيه ما يشبه هذه الذّات.

وبعد تقديم هذه التّحليلات النّفسية، راح "**العقّاد**" يبحث عن مظاهرها وشواهدها في شعر "**أبي نوّاس**"، وهذا من عيوب المنهج النّفسي، حيث يجزم النّاقد منذ البداية بمرض الأديب، ويبني دراسته كلَّها على هذا الأساس، محاولا انتقاء ما يتلائم من شعره مع هذه الفرضيات، وبالتّالي يتحوّل النصّ الأدبي من وثيقة فنية إلى وثيقة مرضية لابدّ لها أن تثبت كلّ العُقد النّفسية التّي أصابت المريض.

النّاقد المصري "**محمّد النّويهي**" هو الآخر تناول شخصية "**أبي نوّاس**" بالتّحليل وذلك في كتابه (**نفسية أبي نوّاس**)، حيث سعى إلى استنباط الخصائص النّفسية ومظاهر السّلوك المتجلّية في أشعاره، وذلك من خلال تذكّر المواقف التّي حدثت له في كلّ مراحله العمرية،

وانتهى إلى تفسير تعقيده بالاضطراب الجسماني المتّصل بطبيعة تكوينه نتيجة لإرهاف في حسّه وتوتّر في أعصابه، وكذا لرابطة الأمومة النّاشئة من تزوّج أمّه عقب وفاة والده، ممّا قاده إلى ضروب من الشّذوذ، أبرزها تعلّقُه بالخمرة وإحساسه نحوها إحساس الولد نحو أمّه.

كما كان لشخصية **"بشّار بن برد"** نصيب من دراسة **"النّويهي"**، منطلقا من فكرة أنّ فنّ الهجاء من أكثر الفنون الشّعرية التّي هي بحاجة إلى تحليل نفسي، ذلك أنّ الهجاء المقذع لابدّ له من دوافع نفسية كامنة في لاشعور صاحبه.

يرى **"النّويهي"** أنّه عندما نلقي نظرة على أشعار **"بشّار"** ، نلاحظ أنّ حبّ الذّات طاغ على عالمه النّفسي، ولعلّ تضخّم الذّات أتى نتيجة للأثر السّلبي الذّي تركته عاهة العمى في نفسه، وما يلي ذلك من إشفاق عليه وضعف تقدير له من طرف الآخرين، واختلال القيم والمعاملات اتجاهه، ولا وسيلة له للهرب من وطأة هذه الحياة من حوله، إلّا بتضخيم ذاته كي يشعر بالاتّزان الاجتماعي.

د. وفيه حملاوي